

مه أعلام القضاء

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن سعد
ابن عبد العزيز الفصالي*

إعداد:

حمد بن عبد الله ابن خنين

* القاضي بالمحكمة الكبرى بالرياض (سابقاً) . .

له دور في العطاء والإحسان وتبصير الناس بأمور دينهم وحل مشاكلهم، يتجلى فيه العدل والإنصاف وإصلاح ذات البين، وهو يدخل السرور والألفة والمحبة بينهم. له دور مشرق في القضاء، وعلمٌ بارز من فضلاء العلماء، عيّنه الملك عبدالعزيز قاضياً في الزلفي بترشيح من سماحة مفتي الديار السعودية آنذاك الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم تولى قضاء الشعيب والمحمل عشرين عاماً في حرملاء، فكان موفقاً في أقضيته، يميل إلى الصلح بين الخصوم. لقد كان لنا شرف الحديث عن سيرته بعد رحيله عن الدنيا لذكر شطر من مواقفه ومآثره، فسيرته معطرة بالثناء والذكر الحسن، وسيظل ذكره غصاً ساكناً في القلوب. تغمده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جنته. إنه ذاك الرجل، صاحب البيت العامر، والقلب الحنون وهو الأب للصغير والأخ للكبير، عهد مشاركاً لجميع أهالي حرملاء بأفراحهم وأتراحهم وطارقاً لبيوت فقرائهم مهتماً بشأنهم. فكانت له معنا هذه الوقفات التي لا توفيه حقه.

*** نسبه ونشأته:**

إنه الشيخ الفاضل عبدالرحمن بن سعد بن عبدالعزيز بن حسن الفضلي من بني لام، ولد عام ١٣٢٥هـ في بلدة ملهم إحدى بلدان الشعيب (حرملاء حالياً) ونشأ فيها وأخذ بمبادئ القراءة والكتابة في الكتاتيب حيث حفظ القرآن مجوداً وكانت ملامح الذكاء والفتنة تلوح على محياه والحيوية تتموج في أعطافه وقد عاش وترعرع في بيئة علم وكرم فأبوه وجده كلاهما عالمان كبيران مما أثر ذلك في نفسه وتطلعه في طلب العلم والنهل من

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن سعد بن عبد العزيز الفضلي

حياضه العذبة ثم شرع في طلبه فقرأ على علماء الشعيب . وكان من أشهر مشايخه أبوه الشيخ سعد بن عبدالعزيز بن حسن الفضلي والشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك والشيخ إبراهيم بن سليمان الراشد قاضي حريملاء آنذاك ثم رحل إلى المجمع فقرأ على قاضيها الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري فطمع في التزود والتروي من معين العلوم فشخص إلى الرياض وقرأ على أعيان العلماء فيها ومن أشهرهم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وأخوه الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم كذلك إبراهيم بن سليمان ولازمهما زمناً حتى نهل من معين العلوم وأصبح في مصاف العلماء الأجلاء .

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي

فقد برز بتدريسه لشتى العلوم الشرعية عندما كان يجلس بجامع حريملاء لطلبة العلم الذين تلقوا منه التوحيد والحديث والفقه والفرائض واللغة العربية شرحاً وحفظاً .

* مكانة والده وجده :

كان والده قاضي أبها وكان عالماً جليلاً وشجاعاً باسلاً ، وكان حجاب الدعوة فقد ذكر الشيخ ناصر بن حمد ابن راشد أنهم عندما كانوا ومن معهم في موقعة بأبها كانوا في شدة حر فنفذ زادهم وماؤهم فجمع أهل القصر ومن معه واستسقى بهم ودعا بعد الصلاة في الخطبة فنزل المطر الغزير فشربوا وملأوا وأوانهم وكان معظم المطر على القصر وما حوله . أما جده المولود في ملهم عام ١٢٣١ هـ فهو العلامة المشهور كان في زمنه ذا همة ونشاط في مجال الدعوة والعلم الشرعي كتب عنه عبد الله البسام في كتابه (علماء نجد خلال ستة قرون) وكتب كذلك محمد بن عثمان القاضي في (روضة الناظرين) وكان مشايخه علماء سدير والمجمعة و حريملاء كالشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري والشيخ إبراهيم بن سليمان

بن مبارك وفيصل المبارك ودرس عليهم الأصول والفروع والحديث والتفسير وفي الرياض درس على عدد من العلماء منهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه عبد اللطيف وعبد الرحمن بن عدوان، أثنى عليه ابن بشر وعبد الرحمن بن محمد القاسم وله من الأبناء عبد الله وناصر وسعد وعبد الرحمن، (وسعد والد المترجم له قاضي أبها في زمنه).

* عمله في القضاء:

بتوجيه من الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - جرى تعيينه قاضياً في الزلفي بترشيح من الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية - آنذاك - وفي عام ١٣٦١ هـ تم نقله إلى قضاء الشعيب والمحمل ومقر قضاؤه في حريملاء ومكث في قضاؤها عشرين عاماً وفي عام ١٣٨١ هـ نقل إلى القضاء في المحكمة الكبرى (العامة) بالرياض إلى أن توفي في ١٥/١٢/١٣٩١ هـ رحمه الله تعالى، وكان موفقاً في أفضيته وكثيراً ما يميل إلى الصلح بين المتخاصمين. وإذا اختلفا فيما يدعيان فيه فإنه يقف بنفسه على تلك المواقع ثم يحكم بما يراه الأصبوب، فيكون ذلك الحكم مرضياً للأطراف في كثير من القضايا لسلامة صدورهم وقناعاتهم بحكمه. وهذا شأن القضاة الورعين في التثبت في إصدار الأحكام، حيث يتجلى في أحكامه العدل والإنصاف. فكان من أولئك الرجال علم بارز في القضاء مما جعل له قدراً عظيماً في نفوس الآخرين. فهو مخلص لله في قضاؤه وساعي إلى نفع الناس بعلمه وماله وجاهه، يجود في سبل الخير في جميع المجالات صاحب القلب العامر والقلب الحنون، مشارك للجميع في الأفراح والأحزان مهتم بشؤونهم.

وأحسن أخلاق الفتى وأجلها تواضعه للناس وهو رفيع

* إمامته وخطابته:

تولى الإمامة والخطابة في جامع حريملاء وعندما انتقل إلى الرياض عام ١٣٨١ هـ

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن سعد بن عبد العزيز الفضلي

تولى إمامة الأوقات لمسجد الوسيطا الواقع شرقي دخنة بالرياض وله فيه حلقات تدريس العلم، وفي الجمع كان يصلي الجمعة إماماً وخطيباً في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم أثناء غيابه. وكان يخطب ارتجالاً بصوت مؤثر فصوته الشجي يرن في الآذان فيشرفها، فكان يكرر (الدنيا عرض حاضر... يأكل منها البر والفاجر). وكان الناس يتحینون خطبته فيمتلئ المسجد الجامع وأروقه بالمصلين.

* منهجه في القضاء:

يُعد من البارزين في مجال القضاء ومن أولئك الرجال الذين تعاقبوا على القضاء في حريملاء بدءاً من الشيخ عبد الوهاب بن سليمان في عام ١١٣٩ هـ من خلال العقود الفارطة. فقد كان -رحمه الله تعالى- موفقاً في أفضيته يميل إلى الصلح ويذهب إلى المواقع ليقف عليها. ويتأكد من تحديد الأملاك ومجري السيول ونحو ذلك ويدقق في الحكم ليكون حاسماً مرضياً لدى الأطراف ويكون لديه القناعة، هذا شأن القضاة الورعين في الثبوت قبل إصدار الأحكام. لقد سطع ذكره وعلا شأنه وأصبح مثلاً يحتذى به في القضاء ومثلاً في العدالة والنزاهة والتواضع.

لا يأمن العجز والتقصير مادحه ولا يخاف على الإطنا تكذيباً

ومع هذا كله فهو مهيب في مجلس القضاء رحمه الله تعالى.

* علاقته بالمعلمين والطلاب:

كان رحمه الله حريصاً على توطيد علاقته بالمعلمين والطلاب فقد كان يدعو المعلمين بين فترة وأخرى إلى تناول الطعام في منزله. كما كان يحضر نادي المعلمين بحريملاء والذي يقام في ليالي الجمع خلال الفترة من

عام ١٣٧٩-١٣٨١ هـ حيث يقوم بتشجيع وتوجيه الطلبة مبيناً لهم أهمية المسرح المدرسي وإلقاء الخطب من على منصته أمام الحضور من آباء وغيرهم ، ففي ذلك تعويد على الخطابة والارتجال وإبعاد شبح الهيبة وبناء الشخصية ، مذكراً أنهم رجال المستقبل وعماد الوطن . وحاتاً على تقديم الجوائز الرمزية للمتفوقين لعلهم أنها تقوي معنوية الطالب وتثير الحماس بين الطلاب . مما يجعلهم يتدافعون ويتنافسون على ذلك المنبر المدرسي الذي خرَّج أفواجاً من الأدباء والخطباء في المساجد والمحافل .

يتزين النادي بحسن حديثهم كتزين الهالات بالأقمار

فكم هو جميل أن يُذكرَ الإنسان بعد رحيله عن الدنيا بتلك الصلات والعلاقات الأخوية والمواقف الإنسانية والمآثر الحسان لتبقى صورة مجسدة لحياة هذا الشيخ الذي اشتهر بسماحة المحيا وطيب العشرة وحلاوة المفاكهة وكثرة التواضع ، يعيش مع من حوله ويأنس بحديثهم ويداعبهم لنذهب عنهم وحشة الهيبة ، فهو ليّن العريكة مع ضيوفه وجلسائه .

* أخلاقه وصفاته:

لقد شهد لهذا الإنسان البعيدون قبل القريين بالصفات المثلى والخلق الحسن والمواقف النبيلة . فهو رجل فاضل عزيز عطف شفوق بشوش بار مهما كُتِبَ عنه لن يوفيه جزءاً يسيراً من حقه . إنه رمز للوفاء والشهامة والكرم ونبراس لمساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين فهو حبيب مقرب من الناس وعاشق لأعمال الخير لا يبحث عن سمعة أو رياء يعمل الخير ولا يريد إلا جزاء رب العالمين فهو رجل متواضع مهيب في نبل رفيع بشوش لا يطلبه أحد إلا وجده ملبياً له دون انتظار لشكر أو مديح فكان وفيّاً أميناً حنوناً كريماً لمن يأتي إليه . عاش حياته في بيت صلاح و تقى وعبادة . متواضعاً لطيفاً صديقاً للجميع طيب المعشر ، لين الجانب كيساً فطناً ، صاحب

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن سعد بن عبد العزيز الفضلي

حنكة وبصيرة ثاقبة لا يُملُّ مجلسه وحديثه يتألم لما يؤلم الناس ويفرح لما يفرحهم محل ثقة وتقدير . ينصح نصح المحب ينزل الناس منازلهم ويعرف لهم قدرهم ويقضي حوائجهم . فهو ورع تقي نقي طاهر علم ، حضوره أخذ لمن حوله يُجَلُّ العلماء وطلاب العلم ويدينهم منه ويحترم آراءهم ويجادل بالتي هي أحسن ويدفع بالسيئة الحسنة . كبير الهمة صريح صدوق ، كان طلق الوجه بشوشاً مربوع القامة نحيف الجسم قليل الشعر قمحي اللون ماتع المحادثة وشيق المجالسة .

* صلته بالعالم الزاهد عبد الرحمن الخريف:

كان -رحمه الله- ذا صلة وطيدة مع الشيخ عبد الرحمن بن محمد الخريف الذي يعتبر من علماء عصره . حيث يقضيان الساعات المفيدة في البحث عن مسائل الخلاف فيحاولان التوفيق والجمع بينهما واختيار الراجح بين الروايات . كما كان رحمه الله يستشيره في بعض القضايا فيأنس برأيه ويعمل بها كان صديق عمره يقضي معه السويقات الجميلة والمفيدة وكانا دائماً ما يعيشان في نقاش في شتى شؤون الحياة وخاصة في أمور القضاء والأحكام الشرعية .

* زيارة الملك سعود له:

من الذكريات الجميلة تشریف الملك سعود بن عبد العزيز -رحمه الله- لمنزله المتواضع أثناء زيارته لأهالي حريملاء عام ١٣٧٤هـ حيث تجاذب معه الحديث وأعجب به الملك لمستوى فكره وعلمه ودرايته . وهذا هو شأن ملوكنا الكرام في تقدير العلماء وزياراتهم في منازلهم . ولا غرو فإن سمعة الشيخ لدى ولاة الأمر معطرة بالثناء والذكر الحسن فمحبه ساكنة في صدور الجميع رحمه الله .

*** مواقف لا تُنسى:**

من المواقف التي لا تخلو من الطرافة أنه أثناء بداية قيادته للسيارة في طريق ضيق لا يسع سوى سيارة واحدة التقى مع سائق آخر داخل بلدة ملهم . فأخذ السائق الآخر يوسع الشيخ شتماً وصرخاً . فما كان من الشيخ إلا أن قال : يا هذا أقصر من صوتك وكف عني الشتم فأنا أجيد القيادة أمام ولا أجيدها خلف . فلما علم أنه القاضي خجل منه ورجع بسيارته إلى الخلف وهذا يدل على الحلم وسعة البال .

ومن المواقف التي تدل على فطنة الشيخ ودرايته : إنه ذات يوم عندما حل به ضيف . طلب من جزار أن يذبح خروفاً للغداء الضيف فاختلف من أطراف الذبيحة وأجزائها إلا أن الشيخ انتبه وأشعر الجزار بطريقة لبقة أنه لا يخفى عليه ببقاء تلك الأجزاء في ثنايا الجلد ليذهب بها لمنزله .

*** وفاته:**

توفي رحمه الله في ١٥ / ١٢ / ١٣٩١ هـ فعم حزنه أسرته وتلامذته ومحبيه ، وقد صلى عليه جمع كثير وهذا هو البرهان الصادق والدليل القاطع على مكانته - رحمه الله - يقول الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه (مؤدكم يوم الجنائز) ، فهذه تحمل على من تسوقهم قلوبهم محبةً للميت لعمله الصالح وسيرته الطيبة وصدقه مع الخلق والخالق ، فقد جمع الله له أمةً من الناس لا يُعلم من أين أتت وكيف سمعت بخبر وفاته رغم سرعة تجهيزه فكان لموته خير واعظ وكان لأثره أشد بلاغاً .

فالموت حق على الخلق ولكن خير الخلق من تبقى ذكره خالدة بأفعاله وأعماله الخيرة فمن أحبه الله أحبه الناس . وخلف أبناءً أكبرهم عبد العزيز ثم متعب فمحمد نفع الله بهم .